الملحق الثالث

المذكرات الميدانية التي دونتها خلال رحلتي إلى منطقة حائل في شهر شوال ١٤٠٤ هـ

الثلاثاء ٤/١٠/١٤٠٤ هـ :

غادرت عنيزة حوالي الساعة السابعة والنصف صباحاً ، ووصلت حائل حوالي الساعة الحادية عشرة . ذهبت رأساً إلى إمارة حائل ، وكان سمو الأمير ووكيل الإمارة لايزالان في إجازة العيد ، فقابلت مدير عام الإدارة القائم بأعمال وكيل الإمارة المساعد صالح عبد الله العضيبي الذي قابلني ببشاشة ولم يدخر وسعاً في تسهيل أموري . كما قابلت أيضاً خالد ضيف الله القبلان ، مدير عام الخدمات المحلية الذي قام مشكوراً بعد موافقة الجهات العليا في الإمارة بصرف سيارة جيب لي ، وسائق اسمه خريفيش بن منور الشمري ، ومرافق اسمه حمود العبد الله الشمري ـ الذي رشحته أنا شخصياً لمرافقتي . كما تحملت الإمارة نفقات سكني وإعاشتي في فندق الجبلين حيث سكنت في الغرفة رقم ١٠٧ ، وقد كان الأخ خالد القبلان كريماً حيث أمر بإسكاني في سويت suite بدلاً من غرفة صغيرة كي أتمكن من استقبال الضيوف من الرواة والإخباريين الذين يزورونني في الفندق .

وكنت أعرف مسبقاً أن إمارة حائل سوف تتعاون معي إلى أقصى حدود التعاون . فقد حللت ضيفاً عليهم حينما قمت بأولى رحلاتي الميدانية لجمع الشعر النبطي في العام الماضي ، ولقيت منهم فوق ما كنت أتصور من حفاوة وتكريم . ومن باب التمهيد لهذه الرحلة كنت قد اتصلت قبل مجيئي إلى حائل بأيام قليلة بالأخ خالد القبلان الذي تعرفت عليه خلال رحلتي في العام الماضي وكوّنت معه علاقة وثيقة . كذلك اتصلت بالمرافق حمود العبد الله الشمري الذي رافقني في رحلتي في العام الماضي ووافق على مرافقتي في رحلة هذا العام أيضاً ، فاتفقت معه على أن نتقابل في الإمارة يوم وصولي . وقد رغبت في مرافقة حمود هذه المرة لأنه دليل جيّد ورجل معروف عند أهالي المنطقة ، كما أنه شخص متعاون ومتفهم لطبيعة مهمتي بحكم مرافقته لي في العام الماضي .

وأثناء فترة انتظاري لإنهاء الإجراءات المتعلقة بصرف السيارة وتعميد السائق والمرافق اللذين سيصطحباني في رحلتي الميدانية جلست في مكتب خالد القبلان أتحدث معه وتقابلت مع عدد من موظفي الإمارة الذين طرحوا عليَّ أسماء العديد من الرواة والإخباريين . ومن هؤلاء الذين قابلتهم عبد الرحمن بن فريح العفنان ، مدير تنسيق وتنمية الخدمات بالإمارة الذي اقترح عليَّ مقابلة علي اللحيدان من بني تميم ومن سكان وسيطاء الحفن وهو ابن ناصر اللحيدان ـ رحمه الله ـ أمير الوسيطاء المشهور بالكرم ، وعبد الرحمن العفنان شاب مثقف وواسع الاطلاع يحمل شهادة جامعية في التاريخ ويحفظ الكثير من الشعر النبطي ، وقد سعدت بالتعرف عليه في رحلتي إلى حائل في العام الماضي ، حيث دعاني إلى بيته ، وسجلت منه ، ومن أبيه ، ومن محمد العبد الله العواد بعض الأشعار والأخبار المتعلقة بمدينة السبعان وبحمولة المفيد الذين منهم عائلة العفنان أمراء السبعان سابقاً .

وفي مكتب خالد القبلان تقابلت أيضاً مع عبد العزيز البدران ، رئيس قسم النسخ بالإمارة ، وهو من أهالي موقق ، وذكر لي بعض الرواة من أهالي موقق ، مثل : **حمود بن خرينق** الذي ورث عن أبيه أشعار عيادة بن منيس ، وفهيد بن فرج الغيثي (ولقبه الحبك) الذي يسكن بيتاً من الشعر عند ضلع جرغ القريب من موقق . وقابلت أيضاً شفاقة بن مريزيق الشمري من أهالي أم القلبان الذي اقترح عليّ مقابلة حمد بن الحميدي بن مغيلث الذي يسكن بيتاً من الشعر بالقرب من أم القلبان . ومن الأسماء التي اقترحها خالد القبلان : حيا بن عبطان الرشيدي الذي يسكن حائل ، وأربعة رواة من قبيلة حرب يسكنون مركز البعايث ، هم : محمد الحداري ، وسالم بن رباح بن مطلق ، وخلف بن عايد بن ضلعان ، وسعد بن صامل الحربي . ولكثرة أسماء الرواة والإخباريين الذين تردني أسماؤهم فقد اتخذت خطوة تنظيمية بسيطة لكنها مهمة وهي تخصيص بطاقة صغيرة لكل راوية يكتب عليها اسمه وعنوانه وهاتفه (إن وجِد) وطريقة الاتصال به ونوع المادة التي يجيدها واسم الشخص الذي ذكره لي وأي معلومات أخرى تتوفر عنه . وتحفظ هذه البطاقات مجتمعة ومرتبة هجائياً .

لم تستغرق إجراءات صرف السيارة وتعميد السائق والمرافق لي من الإمارة أكثر من ساعة . ذهبت بعد ذلك مباشرة إلى الفندق ، واتصلت هاتفياً ببعض المعارف

والأصدقاء بمدينة حائل للسلام عليهم ، فوجدت نزال بن صقر ، وسليمان بن مشيط ، لكنني لم أجد سعيّد بن فهيْد الدوخي .

وفي رحلتي إلى حائل في العام الماضي كنت قد تعرفت على شيحان بن ربيعة وقبل مجيئي هذه المرة كلمته هاتفياً وطلبت منه الاتصال بابن عمه حمود بن عمران ليرتبا لي لقاء مع طليحان العميم الذي سمعت أنه راوية جيّد . وحينما وصلت إلى الفندق كلمت شيحان في بيته فوجدته وقال بأنه كان يترقب وصولي ووعدني بأنه سيحضر إلى الفندق لمقابلتي بعد قليل . وفعلاً جاء في الساعة الخامسة وذهبنا إلى بيته وقابلت أخويه عبد الكريم ومحمد وقد غمروني بلطفهم وكرمهم وشعرت معهم بارتياح تام .

وفي هذا اليوم كان حمود بن عمران موجوداً في حائل يترقب مجيئي . وحمود من الإخباريين الجيّدين وقد سجلت منه عدة أشرطة ولي به علاقة وثيقة . وفي لقائي الأخير معه في الرياض عبَّرت له عن رغبتي في إجراء مقابلة مع طليحان العميم الذي قيل لي إنه يحفظ الكثير من الأخبار والأشعار فوعدني خيراً وقال بأنه سيبحث الموضوع مع طليحان ويحاول إقناعه . وقد حاولت مقابلة طليحان في العام الماضي حينما زرت خلف الهربيد في قرية الخِبَّة ولكنني لم أتمكن من ذلك . وطليحان بدوي صرف وكبير السن ومنطوٍ على نفسه ويتحاشى مقابلة أهل المدن لأنه لا يجيد التعامل معهم ، وهذه بعض الأسباب التي حالت دون لقائي معه في السابق . لذلك لجأت إلى الأشخاص الذين أعرفهم من قبيلته ، قبيلة السويد ، مثل : شيحان بن ربيعة ، وحمود بن عمران ، وخلف الهربيد ، ورومي الهربيد ، علَّهم يستطيعون التأثير عليه وإقناعه بمقابلتي .

وبينما كنا جالسين في بيت شيحان بن ربيعة حضر حمود بن عمران وكذلك سائق الإمارة خريفيش والمرافق حمود فاستقللنا سيارات الجيب وذهبنا إلى بيت حمود بن عمران الذي يبعد عن حائل حوالي ثمانين كيلومتراً ويقع وسط النفود بين قرى الحُفَيْر وطويّة وموقق في مكان يقال له : جرعا ظهر الخشب بالقرب من جبيلات تسمى : الخشب ، وجبل صغير يسمى : ساق . أدينا صلاة المغرب وراء الحفير ، وكان الطريق من حائل إلى الحفير معبداً ، أما من الحفير إلى بيت حمود فليس هناك طريق واضح ، وكان علينا أن نمر وسط كثبان رملية رخوة تكسوها الشجيرات تصعد أحياناً

وتهبط أحياناً أخرى . وكان سائق الإمارة خريفيش لا يعرف الطرق وغير خبير في قيادة السيارة وسط النفود ، وقد ساعدنا وجود شيحان معنا الذي يعرف المنطقة شبراً شبراً ويجيد القيادة في الرمال .

وصلنا إلى بيت حمود بن عمران بعد صلاة العشاء ووجدنا ابنه قد ذبح لنا ذبيحة لعشائنا ، وسهرنا حتى بعد منتصف الليل ، وحينما جاء وقت النوم أخذ كل منا فراشه وتنحى بضعة أمتار عن البيت ، وكم كان جميلاً أن يستلقي الإنسان في هذا المكان الهادىء البعيد عن ضوضاء المدينة وينظر إلى السماء الزرقاء الصافية المليئة بالنجوم ، وكان النوم في النفود اللين مريحاً جداً ، لكن الجو يصير بارداً آخر الليل .

الأربعاء ٥/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا الساعة الرابعة والنصف لأداء صلاة الفجر ، ثم صفّرنا حتى الساعة السادسة ، ثم قمنا وتناولنا القهوة وطعام الإفطار ؛ بعد ذلك استقللنا السيارة واتجهنا إلى طليحان في نفود السّطِيْحة قرب جُبّة ، وجاء معنا حمود بن عمران . وكان طريقنا على طُوَيّة وهي قرية صغيرة . وكان الطريق من حمود إلى طليحان وسط الكثبان الرملية ، وقد تبينت لنا مهارة شيحان في قيادة السيارة ومعرفة الطريق وسط هذه الصحراء التي تتشابه معالمها . وقد اضطررنا إلى التوقف عدة مرات لتخفيف هواء عجلات السيارة لنتحاشى التغريز . والسفر في النفود متعب جداً ، فالسائق لا يستطيع التحكم جيّداً في السيارة التي تعلو وتهبط وتترنح يمنة ويسرة ، لذا فالراكب لا يستقر في مقعده ، وبعد مدة يبدأ يحس بآلام في ظهره وجنبيه .

لم نكن نعرف بالتحديد مكان طليحان فهو بدويّ لا يستقر في مكان معيّن لمدة طويلة . وبالقرب من طويّة شاهدنا بيوتاً من الشعر واتجهنا نحوهم وسألناهم عن طليحان فلم يعرفوا مكانه . وبعد أن توقفنا وسألنا عدة مرات عثرنا عليه في النهاية في مكان وسط النفود يقال له : السطيحة بالقرب من جبّة ، ووصلناه حوالي الساعة العاشرة والنصف .

لم يكن طليحان يتوقع مجيئنا إليه وكان مرتبكاً بعض الشيء في البداية ، لكننا شرحنا له أنا وشيحان وحمود طبيعة المهمة التي جئنا إليه من أجلها . وتردد في البداية وحاول الاعتذار ، لكننا استطعنا أن نقنعه بالتعاون معنا ، وأخيراً وافق على

التسجيل . لكنه في أثناء التسجيل كان مرتبكاً بعض الشيء وكثير النسيان ، حيث لم يكن مهيأ نفسياً وذهنياً لمقابلتنا ، لكن وجود شيحان وحمود بن عمران معنا ساعد كثيراً لأنهما يعرفان حصيلته من القصص والقصائد وكانا يذكرانه بها . وسجلنا منه شريطين (ثلاث ساعات) . وبوجه عام ، كان مستوى أدائه وحصيلته دون ما كنت أؤمل . وأعتقد أن سبب ذلك يعود في المقام الأول إلى عدم معرفته بالتحديد ما هي الأشياء التي تصلح لنا والأشياء التي لا تصلح ، بالإضافة إلى أنني كنت مستعجلاً والوقت الذي خصصته لمقابلته كان ضيقاً . ولا شك أنني لو أمضيت معه وقتاً أطول لكانت حصيلتي منه أجود ، حيث إن ذلك سيتيح لي الفرصة للتعرف على ما عنده ، كما أنه هو بدوره سيألفني ويتعرف بالتحديد على الأشياء التي أبحث عنها .

في أثناء التسجيل تغيب أحد أبناء طليحان ليذبح ذبيحة لغدائنا ، وحينما انتهينا كان الغداء جاهزاً فتغدينا . من أصعب المشاكل التي لم أجد لها حلاً ، وأحرج المواقف التي تواجهني في أثناء رحلاتي الميدانية هو أنه حينما يحل وقت العشاء أو الغداء ونحن في بيت أحد الرواة نسجل منه فإنه مهما كانت إمكاناته المادية محدودة سيذبح لنا ذبيحة أو ذبيحتين ، علماً بأنني أصر من البداية على المضيف ألا يفعل ذلك . ومهما اتخذت من احتياطات لمنع ذلك فإنها في الغالب الأعم لا تفيد . وهذا يعود في المقام الأول إلى كرم أهالي حائل وأريحيتهم . كما أن وجود السيارة التي عليها شعار الإمارة وكذلك المرافق الذي يرتدي شعار الإمارة يعطي مهمتي طابعاً رسمياً بالنسبة للأهالي ويعتقد الكثيرون منهم أنني مبعوث من قبل الحكومة . ورغم محاولاتي الكثيرة فقد فشلت في تصحيح هذا التصور الخاطىء ، فهم يجهلون طبيعة البحث العلمي ، ولا يعرفون شيئاً عن الجامعة ، ولا نظام الحكومة وعلاقة الجهات الحكومية بعضها ببعضها الآخر ويعتقدون أن الملك أو الأمير هو الذي بعثني شخصياً في هذه المهمة ، وقد سمعت أكثر من واحد يدعوني مندوب ابن سعود .

كنا ننوي الذهاب إلى جبّة بعد الانتهاء من طليحان للسلام على الأمير عبد الله بن غالب ومبارك العبيكة وأهالي جبّة الذين كنت قد زرتهم في العام الماضي . وأثناء وجودنا عند طليحان جاء أحد جيرانه ليدعوه ويدعونا معه إلى وليمة كان أعدها مسبقاً ، فاعتذرنا له ، وقلنا له : إننا ذاهبون للسلام على أهالي جبّة ، فقال لنا : إنه دعا أهالي جبّة وإنهم سيحضرون لوليمته . ولكننا لم نكن متأكدين من حضور الأمير عبد الله بن غالب ومبارك العبيكة فكررنا اعتذارنا له وغادرنا إلى جبّة بعد الغداء عند

طليحان . وكنا ننوي فقط السلام على أهل جبّة ثم نواصل السفر إلى حائل في اليوم نفسه . ذهبنا أولاً للسلام على الأمير عبد الله بن غالب فوجدناه يتهيأ للذهاب إلى وليمة الرجل المذكور وهو قريبه . لكن الأمير مع ذلك أصر على أن يكون عشاؤنا عنده ، ولم نجد بدًّا من تلبية الدعوة واتفقنا أن يذهب هو إلى وليمة قريبه ويبقى ابنه نواف ليباشر عشاءنا .

ذهبنا بعد ذلك للسلام على مبارك العبيكة وجلسنا عنده حتى حان وقت عشائنا عند الأمير بعد صلاة العشاء ، وأصر مبارك على أن يكون غداؤنا عنده غداً . وأثناء جلوسنا عند مبارك العبيكة دعانا أحد أهالي جبّة لتناول القهوة عنده بعد عشائنا عند الأمير ، ووعدنا بإحضار محمد السليمان الفهيد أحد رواة جبّة لنسجل منه بعض القصص والقصائد .

حينما ذهبنا إلى منزل الأمير وجدناه قد عاد توّاً من وليمة قريبه ، وقال لنا بأنه قابل طليحان هناك وأنه ـ أي طليحان ـ كان فخوراً لا تسعه الدنيا من الفرحة بلقائنا معه وذكر للأمير بشيء من الأسف أنه كان مرتبكاً أثناء وجودنا عنده ، وأنه تذكر الكثير من الأشياء بعد مغادرتنا . وكان هذا خبراً ساراً بالنسبة لي لأنني حريص على أن يذكرنا الجميع بالخير دائماً وأن يكون انطباع الناس عنّا حسناً .

وفي أثناء جلوسنا عند الأمير جاء محمد السليمان الفهيد الذي عرف أننا نريد أن نسجل منه ليعتذر لنا ويطلب منا تأجيل التسجيل حتى صباح الغد ، حيث انه مرهق لأنه عاد توّاً مع الأمير من وليمة قريبهم ، فاتفقت معه أن نتقابل في منزل مبارك العبيكة غداً في الصباح . كذلك بينما كنا جالسين عند الأمير جلس بجانبي حمود بن عمران الذي قال لي : إنه لا يستطيع المكوث في جبّة حتى ظهر الغد ، وانه لا بد أن يغادر في الصباح ليذهب إلى حائل ويبحث عن سيارة توصله من حائل إلى بيته في النفود ليستعد للذهاب إلى هجرة دُلَيْهان يوم الجمعة لأنه هو إمام المسجد الجامع هناك ولا يستطيع أن يتخلى عن الصلاة بالجماعة . وحيث إن الطرق من جبّه إلى حائل ومن حائل إلى بيت حمود بالنفود ومن هناك إلى دليهان غير معبدة فإنه لا بد له أن يبدأ المسيرة من جبّة صباح الغد ليتأكد من أنه سيصل إلى دليهان في الوقت المناسب لإقامة صلاة الجمعة . وقد سبب لي هذا الموقف بعض الإحراج ، حيث إنني لا أرضى أن يتضايق حمود بن عمران أو أيًّا من رفاقي في الرحلة ، لكن في الوقت

نفسه يصعب عليَّ الاعتذار من مبارك العبيكة الذي أعطيته وعداً بأننا سنتغدى عنده غداً لأنني أعرف أن ذلك سيحز في نفسه وأنه لن يقبل عذري بسهولة . واقترحت أن يذهب السائق إلى حائل ليوصل حمود إلى هناك ثم يعود إلينا في جبّة صباح الغد . لكن هذا الاقتراح لم يقابل بالاستحسان من بقية الرفاق . وبعد التداول قررنا أن الحل الأنسب هو الاعتذار من مبارك .

بعد أن تناولنا العشاء عند الأمير ذهبنا إلى الشخص الذي دعانا للقهوة ووجدنا مبارك العبيكة هناك وأخبرناه بعدم استطاعتنا تناول الغداء عنده غداً . وبعد أن رأى إصرارنا قبل عذرنا على مضض وقلنا له بأنه بدل الغداء سيكون فطورنا عنده في الصباح . وبعد منتصف الليل ذهبنا لننام في نفود جبّة الذي يتميز بنظافته وهوائه النقيّ .

الخميس ٦/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا مع أذان الفجر ، وصلينا صلاة الفجر ، ثم صفَّرنا حتى شروق الشمس . ذهبنا إلى قهوة مبارك العبيكة فوجدناه قد أعد لنا القهوة والشاي وخبز الصاج اللذيذ . ووجدنا في انتظارنا محمد السليمان الفهيد وأخاه حمود وصويلح بن دبيان ، وجميعهم من الرواة الذين أخذت عنهم في زيارتي إلى جبّة في العام الماضي . وقد رغبت في مقابلتهم هذه المرة لعلِّي أحصل منهم على بعض القصائد والقصص التي لم أسجلها منهم من قبل والتي تتعلق بحياة مصيخ بن فرحان وخلاف أهالي جبّة وحربهم مع ابن ثنيان ومع جارد بن رمال ، لكنهم أنكروا معرفتهم بهذه الحوادث لأنهم لا يرغبون في إثارة هذه القضايا التي عفا عليها الزمن لما ينتج عن ذلك من إثارة للضغائن والإحن . وقد همّ صويلح بن دبيان أن يروي لنا طرفاً من الأخبار والأشعار التي تتعلق بتلك الحوادث لكن مبارك العبيكة صدّه عن ذلك ، علماً بأن هذه الأشياء هي التي نبحث عنها وهي لا تقدر بثمن من حيث قيمتها التاريخية والأدبية . وهذه من المصاعب التي تواجهنا في مشروع جمع الشعر النبطي ، فالكثير من الرواة يترددون في الإدلاء بما لديهم من أشعار وأخبار تتحدث عن الحروب والفتن القديمة ، إما بدافع ذاتي من الرواة أنفسهم أو نتيجة للضغوط التي تمارس عليهم من قبل الآخرين . والسبب الأول في هذا الإعراض يعود إلى أنهم يخافون من إذاعة هذه القصائد في الإذاعة والتلفزيون أو نشرها في الصحف أو تداولها في أشرطة مسجلة أو

طبعها في دواوين وانتشارها بين الناس لأن هذا مصير معظم القصائد التي تجمع من الرواة . ولا شك أن بعض القصص والقصائد لو انتشرت بطريقة من هذه الطرق سوف تحدث حزازات لدى بعض الناس وسيكون لها أثر سيىء على الراوي وعلى الأشخاص الذين يرد ذكرهم في القصة أو القصيدة . وعلى الرغم من تأكيدنا على أن ما نجمعه ليس للنشر والتداول فإن الكثير من الناس لا يستطيعون أن يتصوروا بأن هناك من يهتم بالأدب الشعبي غير وسائل الإعلام .

وعلى كل فقد سجلت هذا الصباح شريطاً من محمد السليمان الفهيد يحتوي على بعض القصص والقصائد التي سجلها لنا في العام الماضي ، وذلك من أجل المقارنة ولنعرف ما إذا كان هناك اختلاف في الروايةِ بين هذه السنة والسنة الماضية .

بعد أن أنهيت التسجيل مع محمد السليمان الفهيد غادرنا جبّة إلى حائل ومررنا في طريقنا بقرية قنا للسلام على الأمير عوّاد بن عبيكة وعمه عبد الكريم . ويفصل النفود جبّة عن قنا وتبلغ المسافة بينهما ستين كيلومتراً والطريق بينهما ممهد لكن التمهيد سيىء للغاية . وصلنا قنا قبيل صلاة الظهر ووجدنا الأمير عواد الذي أصر على أن نتناول الغداء معهم عند أحد أهالي قنا واسمه غازي الذي كان قد أعد وليمة لأهل القرية . واتفقنا على أن يكون غداؤنا في قنا لكننا استأذنا الأمير في الذهاب إلى أم القلبان ، وهي قرية صغيرة تقع بجوار قنا ، وذلك للسلام على مطلق القفيعي إمام القرية والذي ذكر لي حمود بن عمران أنه من الرواة الجيدين . كما أنني أيضاً رغبت في الـذهاب إلى أم القلبـان لعلني أجد من يـدلني على حمـد بن الحميدي بن مغيلث وغانم بن جميعان بن غنيم بن رخام اللذين ذكر لي أنهما من الرواة الجيدين .

وجدنا مطلق القفيعي في أم القلبان فاستقبلنا أحسن استقبـال . ولم أكن أنا أعرفه لكنه هو عرفني ، حيث إن ابنه يدرس في جامعة الملك سعود سبق أن اتصل بي عن طريق مطلق العبيكة بالرياض لمساعدته في بعض الإجراءات التي تتعلق بوضعه في الجامعة . وبعد أن تناولنا القهوة عند مطلق القفيعي دعانا أيضاً عواد بن مكيمل للقهوة . وشرحنا لمطلق هدفنا من الزيارة وقال لنا بأن ابن مغيلث ينزل بعيداً عن أم القلبان لكنه يحضر إليها كل جمعة لأداء الصلاة مع الجماعة . فسألناه إذا كان بإمكاننا الحضور يوم الجمعة ظهراً لمقابلته ، فقال بأن الوقت قد لا يكون مناسباً ، حيث إنه ـ أي ابن مغيلث ـ يذهب بعد الصلاة للسلام على أقاربه وقضاء حاجاته الخاصة .

فعدنا وسألنا مطلق أيّ الأوقات أنسب للحضور بعد العصر أم بعد المغرب ، فلم نحصل منه على جواب محدد ، ويبدو أنه بطبيعته شخص متردد لا يستطيع البت في الأمور . وغادرنا أم القلبان بعد أن أعطينا (مطلق) موعداً بأن عشاءنا سيكون عنده غداً لكننا لم نحدد موعداً للحضور .

عدنا إلى قنا وتناولنا الغداء مع أهل القرية عند غازي ثم ودعناهم وذهبنا إلى حائل ووصلنا هناك عصراً . ذهب السائق والمرافق كل إلى بيته وقام شيحان بتوصيل حمود بن عمران إلى بيته بالنفود . أما أنا فقد استقللت سيارة الجامعة التي جئت عليها من الرياض وذهبت للسلام على الأمير مطلق بن هتاش بن رمال والأمير طلال بن غضبان بن رمال في قرية القاعد ، فوجدت عرب مطلق في مضاربهم لكنني لم أجد مطلق ، أما طلال فلم أجد أحداً في بيته . عدت بعد ذلك إلى حائل وأمضيت مساء الخميس في الفندق وكلمت سعيد بن فهيد الدوخي للسلام عليه فوجدته واتفقنا على أن نتقابل يوم السبت .

الجمعة ٧/١٠/١٤٠٤ هـ :

أمضيت البارحة واليوم في غرفتي وتبين لي تردي مستوى فندق الجبلين . يبدو أن الإمارة ابتداء من هذه السنة رأت أن تسكن ضيوفها في فندق الجبلين بدلاً من فندق حائل وذلك زيادة في الإكرام . وفندق الجبلين فندق حديث البناء ويقع في منطقة جميلة خارج المدينة . أما فندق حائل (البيّوضي) فهو عتيق البناء إلى حد ما ويقع في منطقة مزدحمة وسط المدينة ، لكنه فندق مريح وخدمته جيدة مقارنة بفندق الجبلين . الشيء المؤسف حقاً والذي قد لا تعرف عنه الإمارة أن فندق الجبلين على الرغم من بنائه الحديث يعاني من سوء الإدارة وتدني مستوى الخدمة . وتتميز غرفه برائحتها الكريهة وكثرة الصراصير ، والأسرَّة صغيرة ومطارحها لينة جداً . أما الخدمة الهاتفية فهي مصدر إزعاج لا مصدر راحة . كما أن نوعية الأكل رديئة . ويبدو أن الإدارة والعاملين في الفندق لا يعرفون شيئاً عن أصول الخدمة الفندقية . وقد حز ذلك في نفسي لأن حائل مدينة جميلة ، أهلها طيبون وكرماء ، لكن فندق الجبلين ، وهو الواجهة التي تستقبل ضيوف المدينة ، يعطي صورة غير مشرفة عن المدينة وأهلها . وتبذل إمارة المدينة بذلاً سخياً لإكرام ضيوفها ، لكن هذا البذل لا يقابل بالحد الأدنى من التعامل اللطيف والخدمة المريحة من قبل الفندق .

جاءني السائق والمرافق في الفندق بعد صلاة العصر لنذهب إلى أم القلبان ، حسب موعدنا مع مطلق القفيعي . وفي طريقنا إلى أم القلبان توقفنا في شعيب شوط للسلام على راضي بن غريب الشلاقي الذي كنت قد سجلت منه في العام الماضي بعض الأخبار والأشعار التي تتعلق بحياة أبيه غريب الشلاقي . حينما وصلنا بيت راضي وجدناه يقلب بين يديه كتاباً غث المحتوى رديء الطباعة نُشر في الهند عن أبيه غريب وقد كتبه شخص من الجربان أنسيت اسمه ، وكان راضي مستاء جداً من الكتاب . بعد أن جلسنا مع راضي بعض الوقت ذهبنا إلى الحفير لنبحث عن شحّاد بن سلمان بن رحيّل بن ثنيّان . وقد قابلت شحّاداً في العام الماضي ، وهو شيخ كبير عرفت منه أنه كان قد جلا إلى العراق بعد سقوط حائل وشارك في عدد من الغزوات التي شنتها شمر الجزيرة ضد الإخوان ، ثم عاد إلى حائل منذ حوالي خمس عشرة سنة . وحيث إنني لم أتمكن من التسجيل منه في العام الماضي فقد رغبت في مقابلته والتسجيل منه هذه المرة . ووجدناه في الحفير وأخذنا منه موعداً لمقابلته غداً في الصباح .

اتجهنا من الحفير إلى أم القلبان ووصلنا بيت مطلق القفيعي قبيل صلاة المغرب ، ووجدناه لوحده ، وقال لنا بأن حمد بن الحميدي بن مغيلث وأناساً آخرين كانوا ينتظروننا منذ صلاة العصر ، ولما تأخرنا انفضوا وذهب كل في شأنه . وأظهرت عدم المبالاة لكنني في الواقع كنت مغتاظاً من مطلق الذي فوّت علينا فرصة مقابلة ابن مغيلث بسبب تردده بالأمس وعدم تحديده موعداً معيناً لنا . على كل ، جلسنا عند مطلق بينما بعث أناساً للبحث عن ابن مغيلث وعن غانم بن جميعان فلم يجدوا ابن مغيلث ووجدوا ابن جميعان الذي صلى معنا العشاء وبعد الصلاة سجلت منه نتفاً من الأخبار والأشعار . أما مطلق القفيعي الذي قال عنه حمود بن عمران إنه راوية جيد فلم نحصل منه تلك الليلة إلا على شيء يسير جداً . بعد ذلك قدّم لنا مطلق عشاءاً فاخراً ثم استقللنا سيارتنا وعدنا إلى حائل .

السبت ٨/١٠/١٤٠٤ هـ :

جاءني السائق والمرافق في الفندق الساعة التاسعة صباحاً وذهبنا إلى الحفير لمقابلة شحّاد بن ثنيّان حسب موعده لنا بالأمس . وصلنا الحفير الساعة العاشرة ووجدنا شحّاد في منزله ينتظرنا وعنده شلاش بن نازل بن ثنيّان وقد سررت بوجود شلاش مع

شحّاد لأنني حينما قمت برحلة ميدانية إلى الجوف في العام الماضي ذكر لي أحد الرواة هناك أن شلاش الذي يسكن مدينة الرياض من رواة شمر الجيدين . وكان شلاش قد حضر من الرياض إلى الحفير بمناسبة العيد . وبعد مناقشة شحّاد وشلاش اتضح لي أن شحّاداً لم يكن كما توقعت فهو ليس متحدثاً جيداً ولا يحفظ شيئاً من الشعر . أما شلاش فلم يكن متعاوناً ويبدو أن معرفته ليست على قدر ادعائه . وكانت حصيلتي من الاثنين شريطاً واحداً مادته غير جيدة .

رجعنا إلى حائل الساعة الواحدة ظهراً وذهبت للسلام على سمو الأمير مقرن ووكيل الإمارة مقبل المحمد المقبل . عدت إلى الفندق ، وبعد أن تناولت الغداء هناك خرجت حوالي الساعة الثالثة ظهراً وذهبت بمفردي إلى الخطّة التي تبعد عن حائل حوالي ثلاثين كيلومتراً للبحث عن شخص يدعى فهد الرشيد من الرمال ذكر لي أنه راوية جيد . وصلت الخطّة قبيل أذان العصر ووجدت فلاحة فهّاد الرشيد أخا فهد وجلست عنده ، وبعد صلاة العصر جاء فهد لكنه رفض التعاون معي مدعياً أنه لا يعرف شيئاً وأنه انصرف عن الشعر إلى قراءة القرآن .

عدت إلى حائل وذهبت إلى حارة عمّار في حي المطار القديم بالقرب من الفندق الذي أسكن فيه للبحث عن حيا بن عبطان الرشيدي الذي أعطاني اسمه خالد القبلان وقال إنه قد يستطيع مساعدتي في التعرف على رواة بني رشيد . أثناء بحثي عن بيت ابن عبطان قابلت زيد المرزوق وهو شخص يعمل في إمارة حائل وكنت قد قابلته حينما ذهبت للسلام على سمو الأمير مقرن فتعرفت عليه وسألته عن بيت حيا فتكرم بالذهاب معي ودلني على البيت وزكاني عند حيا . ووجدت في بيت حيا بعض أفراد قبيلة بني رشيد الذين رحّبوا بي وتحمسوا لفكرة جمع الأخبار والأشعار التي تتعلق بقبيلتهم . وكنت قد بدأت أحس بالسأم وتسرب إلى نفسي شيء من اليأس لأنني حتى الآن لم أوفق في مهمتي بالقدر المطلوب . لكن حماس بني رشيد شجعني وبعث في نفسي الأمل . وقالوا بأنهم سيذهبون يوم الخميس إلى ديار بني رشيد التي تبعد عن حائل حوالي مائة وخمسين كيلومتراً لحضور زواج ابنة أحد أمرائهم الأديهم بن ناهس بن براك على ابن أميرهم الآخر ابن غلاب . وقالوا بأن الكثير من أمراء القبيلة وشيوخها وشعرائها سيحضرون الزواج واقترحوا عليَّ مرافقتهم إلى هناك . فرحبت بهذه الفكرة وقلت لهم بأنني سأحاول حضور الزواج وتعهد حيا بأنه سوف يبحث لي عن رواة أكفاء من قبيلته .

رجعت إلى الفندق وبعد صلاة المغرب زارني سعيّد بن فهيد الدوخي وتحدثنا بعض الوقت . وكان هناك شخص كبير السن من الأسلم اسمه علي بن مصيخ سمعت من أكثر من مصدر أنه راوية ممتاز . وقد حاولت في السابق الاتصال به وحمله على التعاون معنا ، لكنني لم أوفق . وقد بذلت جهوداً مكثفة هذه المرة للاتصال به وإقناعه بأن يسجل لنا بعض ما عنده من أشعار وأخبار . وطلبت من خالد القبلان أن يحاول إقناعه . وحينما زارني سعيّد هذه المرة بحثت الموضوع معه بصفته من القبيلة نفسها التي منها علي بن مصيخ ، وبصفته يعرفه جيداً وأكدت على سعيد أن يوضح له قدر المكافأة التي يمكن أن يحصل عليها لو وافق على التسجيل لعل ذلك يدفعه إلى القبول .

بعد صلاة العشاء ذهبت إلى بيت شيحان بن ربيعة فوجدت عنده جمعاً غفيراً من قبيلة شمر من بينهم درزي بن عردان أمير الحفير وغانم الجنفاوي وعايد الربوض وكلاهما من شعراء شمر الذين لهم مساهمات في النقائض الشعرية التي حصلت مؤخراً بين شمر وعنزة . والنجم البارز في هذه النقائض الشعرية هو عبيد الله بن سالم الشمروخي الذي لم يحضر تلك الليلة علماً بأن الجميع كانوا يترقبون حضوره . واتصل شيحان هاتفياً بمنزل مطلق بن عبيكة بالرياض ، فوجد عبيد الله هناك فألح عليه بالمجيء لحضور حفل كبير أعدوه غداً للشعراء . وكان هناك ترتيب سابق على أن يجتمع الشعراء وأناس آخرون من شمر ويقضون يوم الأحد عند مسند بن حنيظل وحمود بن عمران في النفود . وحيث إن طريقهم على الحفير فقد دعاهم درزي للتوقف عنده لتناول القهوة وحليب الخلفات .

الأحد ٩/١٠/١٤٠٤ هـ :

في الساعة السابعة والنصف حضر عندي المرافق والسائق وتوجهنا إلى بيت شيحان بن ربيعة الذي رافقنا إلى جرعا شبيكان وسط النفود لحضور الوليمة التي أقامها مسند بن حنيظل على شرف شعراء شمر . وصلنا إلى بيت مضيفنا وهو بيت كبير شيّد على خمسة أعمدة ووجدنا هناك ما لا يقل عن مائتين وخمسين رجلاً وأكثر من أربعين سيارة جيب صفت بطريقة استعراضية وجميع الذين يقطنون النفود يستخدمون سيارات الجيب لأنها أنسب وسيلة للمواصلات في الطرق الرملية . وحين وصولنا أطلق مضيفنا عدة طلقات نارية في الهواء احتفاء بقدومنا . وكان بعض الفتيان الموجودين متمنطقين بالمسدسات والأحزمة المليئة بالأعيرة النارية .

كان الضيوف من الكثرة بحيث كوّنوا دائرة كبيرة وجلس بعضهم في صفوف وحلقات صغيرة داخل الدائرة الكبيرة . وقد كان مجلساً عامراً بالأنس والأخبار والأشعار . ولاحظت أن المتكلم أو القاص أو الشاعر حينما يريد أن يتكلم في هذا الجمع الكبير فإنه يتكلم بصوت مرتفع حتى يسمعه الجميع وكأنه يخطب في حشد جماهيري . وأعتقد أن أداء الشعر وإلقاء القصائد في الزمن السابق كان يتم بهذه الصورة . وقد انتهزت الفرصة وسجلت بعض الإفادات من غانم الجنفاوي وسالم بن فلاج بن طوعان السويدي . وبعد صلاة الظهر قدّم لنا غداؤنا وهو عبارة عن ثماني ذبائح قدمت في جفان كبار تسمى الواحدة منها : صينية أم وكر .

بعد صلاة العصر انطلقنا من بيت مسند إلى بيت حمود بن عمران الذي وصلناه مع غروب الشمس . ووجدنا أن الشاعر عبيد الله بن سالم الذي كان الجميع يترقب حضوره قد وصل واستقبله الجميع استقبال الأبطال لأنه خرج توًّا من السجن بعد أن توسط له درزي بن عردان . وكان قد سجنه الأمير عبد الرحمن السديري في سكاكا لأنه قال قصيدة يهجو فيها بعض أفراد قبيلة الرولة وذلك ضمن النقائض الشعرية الجارية بين شمر وعنزة . وعبيد الله شاب وسيم في مقتبل العمر يبدو عليه السمت والرزانة . وقرأ على الجالسين بعضاً من شعره وتحدثت معه وأبديت له إعجابي بجمال خطه ، فأكد لي أنه لم يدخل المدرسة قط وإنما تعلم الكتابة بجهوده الفردية . وكان الضيوف قد تناقص عددهم وقدّم لنا حمود عشاءنا خمس ذبائح . وقبل العشاء تنحيت جانباً مع خلف بن غالب الجنفاوي وسجلت منه بعض القصص والقصائد . وبعد العشاء انفردت وقتاً طويلاً مع عايد الربوض وتحدثنا عن أنساب الزميل وتاريخهم ولم نسجل هذا الحديث ولكننا اتفقنا أن نلتقي في وقت آخر . ولم نفترق إلا بعد الساعة الثالثة صباحاً .

الاثنين ١٠/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا الساعة السادسة وبعد أن تناولنا طعام الإفطار عند حمود بن عمران غادر شيحان وعبيد الله إلى حائل واتجهت أنا والسائق والمرافق إلى موقق للبحث عن بعض الإخباريين الذين ذُكرت لنا أسماؤهم . وكان الطريق إلى موقق رملياً ولكنه ليس صعباً للغاية . وبعد أن وصلنا موقق سألنا عن الأمير غالب بن بشيّر ، فوجدناه في مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسألناه عن حمود بن خرينق الذي قيل

لنا إنه يحفظ شعر عيادة بن منيس وفهيد بن فرج الغيثي . وفي آخر لحظة صرفنا النظر عن فهيد بن فرج وذهبنا إلى بيت حمود بن خرينق ووجدناه شخصاً زمّيتاً لم يتعاون معنا وادعى أنه لا يعرف عيادة بن منيس ولا يعرف شعره . واتضح لنا فيما بعد أن السبب الذي دعا حمود إلى هذا الإنكار هو أن شخصاً يدعى مسلّم المحمد أودع السجن في حائل لترويجه شعر ابن منيس . ومعظم أشعار ابن منيس تتناول الفتن التي حدثت بين الحسينة والبريك من الخرصة من شمر .

خرجنا من موقق متجهين إلى صَهْوة التي ذُكر لنا فيها شخص قيل إنه أيضاً يحفظ شعر ابن منيس ، وهو مثقال بن محسن بن عواد من الخرصة . ومررنا في طريقنا بعدة هجر ، منها : الصنينا ودليهان والجفيفا . وذهبنا إلى منـزل الأمير في صهـوة عبد الله بن منزّل ولم نجده فذهبنا إلى منزل أخيه وسألناه عن بيت مثقال فدلنا عليه دون أن يذهب معنا بسبب نزاع قائم بين العائلتين . ووجدنـا مثقالاً ، وهـو شخص بشوش لكنه في ذلك اليوم كان منشغلاً بحفر بئر ماء في بستانه . وحصلنا منه على بعض القصائد لابن منيس لكن ليس بالقدر الذي كنا نتوقعه . وهمّ بأن يذبح لنا ذبيحة للغداء لكننا ثنيناه عن ذلك وطلبنا منه أن يعمل لنا خبزاً رقيقاً يسمى قرصان مراهيف غداء فلبى طلبنا مشكوراً وتغدينا عنده غداء لذيذاً .

بعد صلاة الظهر غادرنا صهوة متجهين إلى حائل ، ووصلنا حائل الساعة الثانية والنصف . وفي الساعة الثالثة اتجهت بمفردي إلى مضارب قبيلة الخمسان قرب قرية الجِلْف شمالي حائل للبحث عن شخص يقال له سعود بن مزيد الخُمْساني فوجدته ووجـدت ابنه بـايق الذي كنت أعـرفه من قبـل . وجلست معهم بعض الـوقت واستمتعت بقهوتهم وأحاديثهم . وذكر لي بايق أنه حينما سمع بقدومي إلى حائل سجل لي شريطين من أبيه لتكون جاهزة ووعدني بتسليمهما في أقرب فرصة . واتفقنا على أن يحضرهما لي في الفندق بعد صلاة المغرب .

عدت إلى حائل وذهبت رأساً إلى بيت حَيَا بن عَبْطان الرشيدي لأستدل منه على ديار بني رشيد لأنني قررت أن أزورهم غداً وألا أنتظر حتى يوم الخميس . ووجدت في بيت حيا بعض أفراد قبيلة بني رشيد الذين وصفوا لي الطريق وصفاً دقيقاً وتقع معظم قرى بني رشيد على خط حائل ـ المدينة . وكتب معي حيا خطابي تعـريف وتزكية إلى شيخ الشمل مِطْني بن دليم بن براك والشيخ بركات بن براك . وقد قررت

أن أذهب لزيارتهما غداً بمفردي بدون السائق والمرافق اللذين هما من قبيلة شمر واللذين قد يؤثر وجودهما على تجاوب الرواة من قبيلة بني رشيد معنا وعلى طبيعة المادة التي يدلون بها ، كما أنني أعرف بأن الرشايدة يعرفون عن مهمتي ولا يحتاجون إلى من يعرّفهم بي وبمهمتي ، بل هم يترقبون مجيئي إليهم .

قد يرى البعض أن وجود سيارة الإمارة معنا وكذلك السائق والمرافق يضفي على مهمتنا طابعاً رسمياً يؤثر على تعاون الرواة معنا وعلى نوعية المادة وعفوية الأداء وغير ذلك من الأمور المتعلقة بموضوعية البحث والحياد العلمي . والجواب على ذلك إننا بدون مساعدة الإمارة لن نستطيع تغطية هذه المساحة الشاسعة وعلى هذا المدى الطويل . كما أن الكثير من الناس سوف يرفض التعاون معنا قطعياً ما لم نأت إليهم بطريق رسمي . فهم لا يعرفونني شخصياً ولا يعرفون شيئاً عن الجامعة ولا البحث العلمي . ووجود مرافق من الإمارة معي ضروري لتعريف الناس بمهمتي وتزكيتي عند الرواة والإخباريين . كما أن الأغلبية العظمى من الناس الذين نقابلهم في منطقة حائل من قبيلة شمر وهي القبيلة التي ينتمي إليها السائق والمرافق ، أي أن السائق والمرافق ليسوا أغراباً بالنسبة للأشخاص الذين نقابلهم ، بل إن الرواة يثقون بهما ويطمئنون إليهما . كما أنني في الحالات التي أستغني فيها عن السائق والمرافق أو أعتقد أن وجودهما سيؤثر على سير العمل أتركهما وأذهب بمفردي .

عدت إلى الفندق بعد أذان العشاء ووجدت سعيد بن فهيد الدوخي ينتظرني فجلسنا نتحدث وننتظر مجيء بايق بن سعود بن مزيد الذي وعدني بأنه سيحضر الأشرطة التي سجلها من أبيه . لكنه لم يحضر فذهبنا إلى بيت سعيد وتناولنا عشاء لذيذاً وقضينا معاً سهرة هادئة ممتعة . حينما عدت إلى الفندق بعد منتصف الليل وجدت أن بايق قد حضر بعد مغادرتنا للفندق وترك لي ورقة يتأسف على التأخير .

الثلاثاء ١١/١٠/١٤٠٤ هـ :

في تمام الساعة التاسعة صباحاً غادرت حائل بمفردي متجهاً إلى ديار بني رشيد . وتقع منازل بني رشيد على خط حائل ـ المدينة وتمتد من البركة (التي تبعد عن حائل بحوالي ١٤٠ كيلومتراً) على مسافة ستين كيلومتراً إلى الحليفة السفلى . وأهم القرى الواقعة على الطريق هي البركة والحامرية والوسيطا والقاسمية والصالحية وسْنَاف التمياط والحَمَاد والنّبَوَان . ومعظم هذه القرى لآل براك والقلادان من بني رشيد

ومن أمرائهم مطني بن دليم بن براك أمير النبوان ، وهو شيخ الشمل ، والأديهم بن ناهس بن براك أمير مراغان ، وبركات بن ناهس بن براك أمير السناف ، ودليم بن علّوش بن براك أمير الوسيطا ، وصالح بن غلاب بن جاسم بن براك أمير القاسمية ، وسويد بن راشد بن غلاب بن براك أمير الذِّكْرِي ، وخلف بن عوض بن براك أمير الصالحية ، وجميع هؤلاء يجتمعون في جاسم بن براك جدهم الثالث .

وصلت إلى الوسيطا الساعة العاشرة والنصف ، ووجدت حشداً من الرجال يتعاونون في نصب الخيام أمام منزل دليم بن علّوش حيث سيتم زفاف ابنة أخيه الأديهم على ابن الأمير ابن غلاب مساء الخميس الموافق ١٣/١٠/١٤٠٤ هـ . واستقبلني فهد بن ناهس أحسن استقبال وأخذني إلى منزل دليم بن علوش وتناولنا القهوة والشاي ، وبعد صلاة الظهر قدّموا لنا ذبيحة لغدائنا . وحينما أبديت لهم رغبتي في الذهاب إلى النبوان للسلام على الأمير مطني بن دليم قالوا لي بأنه مريض وأنه ذهب إلى المستشفى في حائل . وقبل الغداء كان قد حضر إلى منزل دليم خلف بن عوض بن براك ، وجمعان بن فالح بن داموك ، وهما من رواة بني رشيد المعدودين ، فسجلت منهم بعض القصائد والإفادات التاريخية والأنساب . وبعد صلاة العصر هبّت عاصفة رملية قوية فاضطررت إلى التوقف عن التسجيل . وكنت أنوي الإقامة بينهم حتى موعد الزفاف ولكن بسبب العاصفة ولأنني لم أجد عندهم الرواة المتميزين الذين كنت أحلم بهم فقد عدلت خطتي وقررت العودة إلى حائل في اليوم نفسه على أن أعود إليهم يوم الخميس لحضور الزواج ومقابلة الرواة الآخرين الذين سيحضرون هذه المناسبة . وبعد صلاة المغرب قدّم لنا فهد بن ناهس ذبيحة أخرى لعشائنا ، وبعد العشاء استقللت سيارتي وعدت إلى حائل ووصلت هناك الساعة العاشرة والنصف .

الأربعاء ١٢/١٠/١٤٠٤ هـ :

دق جرس الهاتف الساعة السابعة والنصف ، وكان شيحان بن ربيعة يهاتفني من بيته يدعوني لتناول قهوة الصباح عنده . ذهبت فوراً إلى بيت شيحان ووجدت هناك بعض أفراد قبيلة السويد ، وسجلت منهم بعض الإفادات عن أفخاذ قبيلتهم ووسومهم . بعد ذلك عدت إلى الفندق ، وبعد الغداء جاءني بايق بن سعود

الخمساني وسلمني الشريط الذي كان قد سجله مع والده . وجلسنا نتحدث حتى صلاة العصر وقلت له بأنني سأستمع إلى شريط والده فإن كان التسجيل جيداً وطريقة الاستجواب مرضية فإنني سأكتفي بهذا الشريط وإلا فلابد من أن أجري المقابلة مع أبيه بنفسي . وقبل أن يغادر غرفتي أخذ مني موعداً بأن أزورهم وأتغدى معهم يوم السبت الموافق ١٥/١٠/١٤٠٤ هـ .

بعد أن ودعت بايق استقللت سيارتي وذهبت إلى القاعد للسلام على الأمير طلال بن غضبان بن رمال فوجدته وجلسنا نتحدث بعض الوقت واتفقنا على أن أزوره يوم السبت الموافق ١٥/١٠/١٤٠٤ هـ لتسجيل بعض الإفادات عن قبيلة الغفيلة .

عدت إلى الفندق وجلست في غرفتي حتى الساعة الثامنة مساء ثم استقللت سيارتي وذهبت إلى الجابرية لمقابلة عايد الربوض الذي كان بيني وبينه اتفاق سابق على أن أزوره يوم الخميس لأسجل منه بعض الإفادات عن أنساب الزميل . وبما أنني سأذهب إلى ديار بني رشيد التي تبعد عن حائل حوالي مائة وستين كيلومتراً ، فقد فضلت أن أذهب الليلة إلى الجابرية وأنام هناك حتى أبدأ التسجيل مع عايد الربوض في الصباح الباكر لأتمكن من السفر إلى ديار بني رشيد والوصول هناك قبل حفل الزواج . وقد تعمدت أن أتأخر في الذهاب إلى الجابرية حتى يفوت وقت العشاء . وصلت إلى بيت عايد الربوض بعد الساعة التاسعة ووجدته جالساً مع بعض أقاربه وبعض الشعراء الذين جاؤوا من جبّة لزيارته والتعرّف عليه وهم من الشعراء الذين شاركوا في النقائض الشعرية بين شمر وعنزة . وجلسنا نستمع إلى أشرطة مسجل عليها قصائد لهؤلاء الشعراء الجالسين عند عايد وأشرطة لعايد ولأخيه راضي وكلها هجاء ضد شعراء عنزة ، وقد لاحظت أن شعراء شمر منشغلين بهذه النقائض فهي موضوع حديثهم في الجلسة هذه ، وكذلك في الحفل الذي أقامه مسند بن حنيظل .

وفي حوالي الساعة الحادية عشرة دعاني عايد لتناول العشاء وقد ذبح ذبيحة جلست عليها لوحدي لأن الرجال الذين وجدتهم عنده كانوا قد انتهوا من تناول الذبيحة التي قدّمها لهم قبل مجيئي إليهم بفترة وجيزة ، هذا علماً بأنني قد تعمدت الوصول إلى بيت عايد متأخراً حتى يفوت وقت العشاء . ولكن سجيّة عايد أبت عليه إلا أن يذبح ذبيحة ليكرمني بها .

الخميس ١٣/١٠/١٤٠٤ هـ :

بعد أن تناولنا قهوة الصباح مع خبز الصاج اللذيذ بدأنا التسجيل وسجلت شريطين عن أنساب الزميل وبعض القصص والقصائد . بعد ذلك عدت إلى حائل . والجابرية تبعد عن حائل ستين كيلومتراً شرقاً . ذهبت إلى الفندق واسترحت حوالي الساعة ثم توجهت إلى ديار بني رشيد .

وصلت إلى محل العرس في قرية الحامرية بعد صلاة العصر ، وكان دليم بن علّوش في استقبالي فأجلسني وعرّفني على بعض الحضور . وبعد أن جلست وتناولت القهوة واسترحت قليلاً اقترح دليم أن أذهب إلى قهوته وأختصر مع بعض أمراء بني رشيد للحصول على بعض المعلومات عن أنساب القبيلة . لكن حالما بدأنا التسجيل حضر أناس غير الذين خصهم دليم وانفلت زمام النقاش وتحوّل إلى جدل عنيف واضطررنا إلى صرف النظر عن موضوع الأنساب وذهبنا لصلاة المغرب واقترح عقيل بن غازي بن هادي أمير الروض وأخوه سعود أن أزورهم في صباح الغد في الروض لبحث موضوع الأنساب بهدوء ، فلبيت الدعوة .

وقد حضر حفل الزواج ما لا يقل عن ألفي رجل وقابلت هناك عدداً من شيوخ بني رشيد منهم مطني بن دليم بن براك شيخ الشمل الذي دعاني لزيارته غداً في النبوان . وبعد تناول العشاء دعاني مساعد بن ناصر بن صعرور من الزبون من بني رشيد لقضاء الليلة معه في قرية مبرّز التي تبعد عن الحامرية حوالي ثلاثين كيلومتراً باتجاه الحليفة وقال لي مساعد إن أباه ناصر شيخ كبير ويحفظ الكثير من القصص والقصائد . وقد أغراني ذلك بتلبية دعوة مساعد ، كما أنني كنت متعباً وأبحث عن مكان هادىء لأنام فيه وأعرف أنني لن أستطيع النوم في مكان العرس لكثرة الناس ولأن الحفل قد يستمر حتى الفجر . ومما أغراني أيضاً بالذهاب مع مساعد أنه أبدى استعداداً لمرافقتي غداً إلى قريتي الروض والنبوان اللتين تقعان بعيداً عن بعضهما وعن خط حائل ـ المدينة والطرق إليهما غير معبّدة وغير واضحة .

حينما وصلنا إلى مبرّز وجد مساعد أباه « ناصر » نائماً فأيقظه وأحضره وسجلت منه بعض الإفادات عن فخذ الزبون الذي يرجع في الأصل إلى قبيلة عتيبة حسب إفادة ناصر . ولم يكن الشيخ ناصر راوية جيداً بالصورة التي كنت أتوقعها .

الجمعة ١٤/١٠/١٤٠٤ هـ :

صحونا مع شروق الشمس وبعد أن تناولنا القهوة وطعام الإفطار اتجهنا في الساعة السابعة إلى قرية الروض تلبية لدعوة ابن هادي وذهب معنا سعد بن صالح بن دابس ابن عم مساعد . والطريق من مبرّز إلى الروض لا يزيد عن سبعين كيلومتراً إلا أنه كان غير معبد ووصلنا هناك بعد ساعة ونصف . وأمراء الروض ليسوا من فخذ البراك ، بل من فخذ القلادان ، وحينما بدأنا نناقش أنساب القلادان احتد النقاش ورفض سعود تسجيل المقابلة . وكان الأمير عقيل صريحاً وطيباً وصادقاً في كلامه ، أما أخواه سعود ونايف فكانا يحاولان تعديل المعلومات عن طريق الزيادة والنقصان ولم أكن مطمئناً لإفادتيهما ، لذا فإنني اكتفيت بتدوينها كتابة دون تسجيلها على شريط التسجيل .

وهناك قابلت نافع بن شباب بن نافع بن شميلان الذي دعاني لزيارتهم في الحليفة السفلى لمقابلة أبيه شباب شيخ شمل القلادان فلبيت الدعوة .

لم تتم المقابلة مع آل هادي بالطريقة التي كنت أرغبها فاستأذنا للذهاب إلى مطني بن دليم الذي كان دعاني البارحة لزيارته فرفض آل هادي السماح لنا بالمغادرة حتى نتغدى معهم ونأكل الذبيحة التي ذبحوها لنا . وتغدينا عندهم غداء مبكراً ، وفي أثناء جلوسنا على الغداء جاء أحد أبناء الأمير مطني لاستدعائنا لأننا تأخرنا عليهم . وبعد الغداء ذهبنا فوراً إلى النبوان ووصلنا هناك أثناء صلاة الجمعة .

بعد الصلاة جاء الأمير مطني وكنا ننتظره في منزله وبدأنا بتسجيل بعض المعلومات منه عن أنساب القبيلة . وحصلت مشادة بين الأمير وبين رفيقي سعود ومساعد اللذين هما من فخذ الزبون . فهما يريان أن فخذ الزبون أصلاً يعود إلى عتيبة والنوامسة يعود أصلاً إلى عنزة ، وهناك أفخاذ أخرى تنتمي إلى قبيلة بني رشيد لكنها في أصلها القديم ترجع إلى قبائل أخرى . أما الأمير مطني فإنه ينكر ذلك ولا يحبذ الخوض فيه . واتضح لي من النقاش أن الأمير مطني كان عاتباً عليَّ بعض الشيء ويرى أنه كان من الواجب عليّ أن أبدأ به قبل الآخرين بصفته شيخ شمل القبيلة ، ولم يكن مسروراً من بقائي مع الزبون طوال البارحة واليوم ، لأنه يعتقد بأنهم عبؤوا مخي بالأفكار الخاطئة عن القبيلة . ثم طلب مني أن أسمعه جميع المعلومات التي سجلتها عن القبيلة وأن أعمل له نسخاً من الأشرطة التي جمعتها من رواة القبيلة .

وكان محتداً بعض الشيء ، ويعلم الله أنني كنت مشفقاً عليه لأنه مريض ويعاني من ارتفاع في الضغط وكنت أحاول تهدئته . بل إنه حينما دعاني البارحة لزيارته ذكرت له أنني لا أريد أن أثقل عليه وهو مريض ، وكنت أخشى أن موضوع الأنساب سيثيره لأن التجربة أثبتت لي أن موضوع الأنساب من أكثر المواضيع حساسية وإثارة للجدل . لكنه أصرّ عليّ أن أزوره وأكد لي أنه لا يعير هذه الأمور اهتماماً ، وأنها لا تثيره أبداً .

وحينما هدأ الشيخ مطني بدأت أوضح له موقفي وأشرح له ملابسات الموضوع ، فقلت له إنني حينما جئت إلى بيت دليم بن علوش في الحامرية يوم الثلاثاء كنت ذهبت إلى هناك في الأصل لأطلب من أحدهم أن يرافقني إلى النبوان لأن الطريق غير معبد وغير واضح ، لكنهم قالوا بأن الشيخ مطني مريض وأنه ذهب إلى المستشفى في حائل ، وأكدوا لي بأنه إن خرج من المستشفى قبل الخميس فإنه سيحضر الزواج ، ولهذا السبب صرفت النظر عن زيارة النبوان في ذلك اليوم . أما ذهابي اليوم إلى الروض قبل النبوان فلأن ابن هادي هو الذي دعاني أولاً . أما بخصوص مبيتي عند الزبون البارحة فإنه حينما دعاني ابن هادي لزيارته في الروض ومطني لزيارته في النبوان لم ينتبه أيٌّ منهما إلى أنني شخص غريب في أرض طرقها غير واضحة وغير معبّدة . ولما عرض عليَّ مساعد أن أبيت عنده ليرافقني غداً إلى الروض والنبوان لم أقبل دعوته في البداية لأنني كنت آمل أن تأتي الدعوة من مطني أو ابن هادي ، ولكن حينما قطعت الأمل اضطررت إلى قبول دعوة مساعد . أما من حيث تسجيل الأشرطة فهذا شيء مستحيل أولاً لأن الأشرطة ملك الجامعة وليست ملكي ، وثانياً لأنني لا أستطيع خرق الثقة التي منحني إياها الإخباريون الذين أسجل منهم والذين أؤكد لهم أن الغرض من التسجيل هو البحث العلمي وليس الترويج بين الناس .

وبنو رشيد عموماً أناس طيبون وصرحاء يرضون بالسرعة نفسها التي يغضبون بها ويتميزون عن غيرهم بطيب المعشر وحب المساعدة ولا يحقدون أبداً . وهم كرماء إلى أبعد الحدود إلا أن إمكاناتهم محدودة جداً ، فهم يعيشون في منطقة قاحلة وقليلة الموارد .

ويؤسفني أن أعترف بأن وجودي مع قبيلة بني رشيد سبب شيئاً من الحساسيات بين مختلف فئات القبيلة . فالقبيلة ـ كغيرها من القبائل ـ تمر بمرحلة تغير جذري

خصوصاً فيما يتعلق بتوزيع مراكز النفوذ والسلطة . فالشيوخ القدماء فقد بعضهم مراكزهم وبعضهم الآخر خائف من فقدان مركزه . وهناك أناس لم يكن لهم أي نفوذ من قبل بدأوا يبرزون أخيراً كمراكز قوة لأنهم أكثر تفهماً لمتطلبات هذا العصر وأكثر تعاوناً مع السلطات المحلية . وقد كثرت في الآونة الأخيرة الطلبات للحصول على أختام رسمية لأن حصول الشخص على ختم رسمي يعني اعتراف الجهات الرسمية به كمركز نفوذ ، وبالتالي فإن توزيع هذه الأختام يعني إعادة توزيع مراكز النفوذ . وقد شعرت بهذه المشكلة من البداية ، وحاولت أن أصحح مفاهيم الناس فيما يتعلق بمهمتي وأفهمهم بأنه لا دخل لي بالإعانات الحكومية والقروض ومنح الصلاحيات الإدارية . ولكن بما أنهم لا يستطيعون استيعاب معنى البحث العلمي وفهم أهدافه ، فقد ظلوا متشبثين برأيهم واعتقادهم بأنني مندوب من الحكومة جئت أتقصى أوضاع الأمراء والمشايخ وأتباعهم . وقد رسّخ هذه الفكرة في أذهانهم أنني أسأل عن الأنساب والأفخاذ والمضارب القديمة والموارد والأمراء التقليديين وغير ذلك من المسائل التي تتعلق بالبنية السياسية والتنظيمية التقليدية للقبيلة .

وكانت قبيلة بني رشيد في السابق تسمى قبيلة هتيم ، وهذا الاسم أشبه باللقب الذي تنبزه بها القبائل الأخرى . وفي الآونة الأخيرة بدأ أفراد القبيلة يرفضون هذا اللقب ويحاولون تجاوزه لما ألصق به من الصفات السلبية . وهم يحاولون إثبات صلتهم بقبيلة بني رشيد التي تقطن السودان التي تحتل مركزاً اجتماعياً لا بأس به . ولعل هذا من الأسباب التي تجعل موضوع النسب بالنسبة لهذه القبيلة موضوعاً مفرط الحساسية وشديد الغموض وقلّ أن يتفق عليه النسابون .

وعلى كل ، فإن موضوع النسب ، سواء بالنسبة لقبيلة بني رشيد أو غيرها من القبائل موضوع أرى أنه ينبغي إعادة النظر فيه وتصحيح فهمنا له . فقد بدأت أستشف من تجربتي الميدانية أن النسب ليس شيئاً ثابتاً ونظاماً مصمتاً ومحكماً كما يعتقد عامة الناس ، بل هو نظام مرن ومتغير كغيره من النظم الاجتماعية الأخرى يمكن التحكم فيه وتحويره لخدمة أهداف معينة ويختلف فهم الناس له ونظرتهم إليه باختلاف أغراضهم وأهدافهم . وبالإضافة إلى نسب الدم هناك نظام « الصايح » وهو أشبه بالحلف ويعني القوم الذين صيحتهم واحدة ، أي يلبون نداء « الصايح » منهم وإن كان نسبهم غير واحد . ومن وسائل الضبط والتحقيق في بحث الأنساب السؤال أيضاً عن المشايخ التقليديين والموارد والديار ووسوم الإبل .

بعد أن انتهيت من تسجيل أنساب قبيلة بني رشيد من الأمير مطني جاء الراوية عوض بن سمير الـذي سجل لنـا بعض القصص والقصائـد التي تتعلق بتاريـخ القبيلة . وبعد أن تناولنا العشاء عند الأمير مطني قبيل أذان المغرب توجهنا إلى الحليفة تلبية لدعوة ابن شميلان . وتبعد النبوان عن خط الأسفلت حوالي أربعين كيلومتراً ، ثم هناك حوالي أربعين كيلومتراً على خط الأسفلت إلى الحليفة باتجاه المدينة .

كان موعدنا مع نافع بن شباب بن شميلان بعد صلاة العصر لكننـا لم نصل هناك إلا قبيل أذان العشاء ووجدنا الأمير شباباً وابنه نافعاً وبعض أفراد قبيلة القلادان في انتـظارنا . وبـدأنا بتسجيـل بعض الأخبار والأشعـار عن قبيلة بني رشيـد من سعود بن ثامر بن سعيده ، وهو من الإخباريين الجيدين . واتضح لي أننا لن نتمكن من تسجيل أنساب القلادان في هذه الليلة لأننا انشغلنا بتسجيل ما عند سعود بن ثامر من قصص وقصائد . وحيث إنه كان عندي موعد سابق مع سعود بن مزيد الخمساني وطلال بن غضبان بن رمال غداً فقد ذكرت للأمير شباب بـأنني مضطر للرجوع إلى حائل الليلة ووعدته بالعودة يوم الأحد لنستكمل التسجيل . حينما جئت من النبوان إلى الحليفة كان يرافقني مساعد بن ناصر وسعد بن صالح ، وكان مساعد هو الذي يقود السيارة . وبعد وصولنا إلى الحليفة استأذنني مساعد وسعد في العودة إلى أهلهما بالمبرّز التي تبعد عن الحليفة حوالي خمسين كيلومتراً لأن أحد أبناء سعد مريض ولأن الحليفة تقع على خط حائل ـ المدينة ولا أحتاج فيها إلى سائق ودليل . فأذنت لهما وأوصلهما أحد أبناء الأمير شباب إلى قريتهما . وحينما ودعت الأمير شباب بعد منتصف الليل وهممت بالعودة إلى حائل اكتشفت أنني نسيت مفتاح السيارة مع مساعد بن ناصر . لذلك اضطررت أن أبيت عند الأمير شباب وأغيّر من جدولي ، حيث لم يكن بإمكاني الآن أن أفي بوعدي مع سعود المزيد وطلال بن رمال .

السبت ١٥/١٠/١٤٠٤ هـ :

في الصباح الباكر واصلت مع الأمير شباب وبعض أفراد قبيلة القلادان بحث الأنساب واستغرق منا ذلك بعض الوقت . أثناء ذلك ذهب أحد أبناء الأمير لإحضار مفتاح سيارتي من مساعد بن ناصر ولم يعد إلّا قبيل الظهر ، وقال : إنه وجد مساعد الذي لم ينتبه إلى أن مفتاح سيارتي معه كان قد ركب سيارته ليسافر إلى المدينة المنورة ، ولو تأخر ابن الأمير قليلاً لكان مساعد قد سافر إلى المدينة ومعه المفتاح . وبعد الغداء عدت إلى حائل ووصلت هناك حوالي الساعة الرابعة عصراً .

بعد أن استرحت قليلاً في غرفتي ذهبت للجلوس في صالة الفندق وجاء لزيارتي نايف بن معلّث المقوعي وبصحبته حمود بن مفلح الرشيدي ودعاني نايف لتناول العشاء عنده مساء الغد ووعدني بإحضار أبيه الذي يعد من أشهر شعراء بني رشيد في الوقت الحاضر . وبعد ذهابهما حضر لزيارتي سعيد بن فهيد الدوخي الذي قال لي إن مساعيه مع ابن مصيخ لم تفلح ولم يستطع إقناعه لتسجيل ما لديه من أشعار وأخبار . وفي تلك الليلة هاتفني شيحان بن ربيعة الذي قال لي إنه عثر على فهيد بن فرج الغيثي الذي أبدى استعداده لتسجيل ما عنده من قصص وقصائد .

حينما وصلت إلى غرفتي عائداً من الحليفة الساعة الرابعة عصراً كنت في غاية الإرهاق الجسمي والنفسي فجلست أستعرض في مخيلتي أحداث هذه الرحلة الميدانية والإنجازات التي حققتها حتى الآن .

الرحلات الميدانية التي أقوم بها لجمع الشعر النبطي أتاحت لي الفرصة لعقد صداقات وعلاقات وثيقة مع بعض شيوخ القبائل وأمراء المناطق والشعراء والرواة وأناس آخرين أتشرف بمعرفتهم وأعتز بصداقتهم . كما تمكنت من خلال هذه الرحلات التعرّف عن كثب على فئات وطبقات معينة من المجتمع السعودي لا سيما أبناء البادية وأهل القرى النائية والاطلاع على أسلوبهم في التفكير وطريقتهم في الحياة . ولا أبالغ إذا قلت : إن أمتع الأيام هي تلك الأيام التي أقضيها في الصحراء أستمع إلى أبناء البادية ينشدون الشعر ويروون القصص البطولية التي تحكي أمجاد الماضي بما فيه من نخوة وشهامة وفروسية وكرم .

لكن العمل الميداني فيه مصاعب ومتاعب جمّة . أبدأ العمل في أغلب الأيام من الساعة السادسة صباحاً حتى منتصف الليل بدون انقطاع ومعدل ساعات النوم اليومية تتراوح من أربع إلى ست ساعات فقط . والسفر لمسافات طويلة على طرق صحراوية غير معبدة تحت أشعة الشمس المحرقة وفي سيارة غير مكيفة أمر متعب . وخلال الرحلة الميدانية التي تستمر لعدة أسابيع عليَّ أن أقابل عدداً كبيراً من الرواة وجموعاً من الناس يختلفون في أمزجتهم وفي مستوى النضج والإدراك . وعليَّ أن أقابل الجميع ببشاشة وأتعامل معهم بلطف وأجاملهم في كل شيء وأندمج معهم حتى أخلق بيني وبينهم جوّاً من الألفة والوئام وحتى لا أفقد ثقتهم وتعاطفهم . والقيام بهذا الدور على الوجه المطلوب ولفترات طويلة يستنفد الكثير من الطاقة

النفسية والعاطفية . كما أن الجلوس في مكان معين وفي وضع معين ومحاولة التركيز والاستيعاب والظهور بمظهر الإنسان اليقظ المتنبه طوال ساعات النهار فيه ما فيه من الإجهاد الذهني والجسدي . ولكم تمنيت أن أخلو بنفسي ولو لساعة واحدة أنعم فيها بالهدوء والراحة لأستجمع قواي وأسترد نشاطي .

وحينما نتحدث عن متاعب العمل الميداني لا بد أن نتطرق إلى موضوع الأكل والشرب . لا شك أن العربي مضياف بطبيعته لكن أبناء البادية في شمالي المملكة العربية السعودية يبزون الجميع في الكرم لا من حيث كمية الطعام التي يقدمونها ولا من حيث البشاشة التي يستقبلون بها ضيوفهم . لكن ابن المدينة المترف قد تكون له ملاحظات على طريقة إعداد الطعام وتقديمه ، خصوصاً فيما يتعلق بأمور الصحة والنظافة .

حينما يفد ضيف عزيز إلى إحدى القرى أو مضارب البادية فإن العادة تقتضي بأن يستضيفه الجميع ويدعونه لتناول القهوة والشاي في بيب كل منهم ، واحداً بعد الآخر . وقبل القهوة يقدم المضيف إناء كبيراً فيه تمر حويل وفي وسطه وعاء صغير من السمن . والطريقة المتبعة أن يقدم هذا الإناء إلى كل واحد من الضيوف فيأخذ بين أصابعه قطعة من التمر ويغمسها في السمن ويأكلها ، وهكذا حتى يكتفي . وكلما قلّت كمية التمر أو السمن فإنه يضاف إليها كميات أخرى دون أن يغسل الإناء أو يستبدل به غيره ، مهما طالت المدة . وبطبيعة الحال فإن التمر والسمن يكتسبان مع مرور الوقت لوناً وطعماً ورائحة غير مقبولة لدى الإنسان الذي لم يتعود على هذا النوع من الطعام . وخلال رحلاتي الميدانية كنت أمرّ بهذا الموقف يومياً . ومن باب المجاملة واحترام شعور المضيف كان عليَّ أن أتناول شيئاً من التمر وأحتسي كميات لا بأس بها من القهوة والشاي ، مما له أثر غير حميد على معدتي وأعصابي ، خصوصاً الشاي الذي يضعون فيه كميات هائلة من السكر .

وأهل الحاضرة متعودون على شرب الماء عذباً بارداً صافياً نقياً من الشوائب وفي إناء نظيف ، وهذا قلّ ما يتوفر في البادية . ومن عادات الضيافة في البادية أن المدعوين دائماً أعدادهم كبيرة جداً . وبعد أن يتناول الجميع القهوة والشاي يكون المضيف قد أحضر إناء صغيراً فيه قليل من الماء ليغسل الأكواب جميعها في هذا الماء القليل الذي يتحول لونه إلى مزيج من لون القهوة والشاي . ويستمر في تغسيل

الأكواب فى هذا الماء وإعادة سكب القهوة والشاي لضيوفه في الأكواب نفسها . وبعد أن يتناول الجميع الطعام يكون المضيف قد أعدّ جردلين صغيرين أحدهما فيه ماء ممزوج بالصابون والآخر فيه ماء بدون صابون ليغسل الضيوف أيديهم في الأول لإزالة الدسم وفي الثاني لإزالة الصابون . ولكن بعد أن يغسل خمسة من الضيوف أيديهم في الجردلين يتسخ الماء في كليهما ويصبح من الصعب تمييز أحدهما عن الآخر . ولا شك أن هذه الممارسات مردها إلى قلة الماء في الصحراء .

وكان الناس في السابق يقدمون الطعام على سفرة مصنوعة من الخوص . وبعد الانتهاء من الأكل ينفضونها ويعلقونها مبسوطة بدون ثني . أما الآن فإنهم تخلّوا عن السفرة وبدؤوا في استخدام السماط المصنوع من الباغة الرقيقة . والسماط يحتاج إلى غسل جيّد بالماء والصابون بعد الاستعمال ثم ينشر ليجف . أما أهل البادية والقرى فإنهم يكتفون بنفضه ثم يطوونه على ما علق به من الدسم وفضلات الطعام ، لذا فإن هذه الأسمطة تصبح رائحتها نتنة وحينما تفل ويوضع عليها الطعام ويتقدم الضيوف للأكل تقابلك رائحتها الكريهة التي تصد الشهية عن الأكل .

وتختلف نوعية الأكل في البادية عنها في الحاضرة . فأهل البادية لا يعرفون تنويع الوجبات وتكاد الفاكهة والخضروات أن تكون معدومة عندهم . ويتألف طعامهم في الغالب من الأرز واللحم وفي الصباح يأكلون خبز الصاج . وقلما يخلو الطعام في الصحراء من الرمل ، خصوصاً حينما تهب العواصف الرملية ، لذا يصعب مضغ الطعام مضغاً كافياً لما تسببه حبيبات الرمال من ألم للأضراس ، وهذا بالتالي يعني أن المعِدة لم تتمكن من هضمه بسهولة . ومن الطريف أن لبن الإبل الذي كان يعتبر الغذاء الرئيس للبدو في الزمن السابق لا يوجد الآن إلا عند بعض الطبقات الارستقراطية في الحاضرة التي صارت تعتبر تربية الإبل والخيل رمزاً من رموز الجاه والغنى .

والاختلاف الواضح بين نوعية الطعام الذي اعتدت عليه وبين ذلك الذي أحصل عليه في أثناء رحلاتي الميدانية ، بل حتى بين أنواع الأطعمة التي أتناولها في أثناء الرحلة ، له أثر سيء على عملية الهضم والإفراز التي تتراوح بين الإمساك والإسهال ، ولا شيء أكثر مضايقة من الإسهال في الصحراء ، حيث لا ماء ولا مراحيض .

ولكن مهما كانت المتاعب ومهما كانت المصاعب التي أواجهها من حين إلى آخر خلال العمل الميداني ، فإن الصورة التي تظل عالقة في الذهن ، والانطباع الذي يبقى بعد أن يزول النصب وأنسى التعب هو الكرم الذي يتميز به أهل الشمال عموماً وأهل الجبلين خصوصاً . لا شيء أعز عند ابن الشمال وأحب إلى نفسه من إكرام الضيف وتوفير الراحة له . فهم لا يزالون ينحرون الإبل لضيوفهم بالإضافة إلى الأغنام ويدفقون السمن عمداً على الطعام مبالغة في إكرام الضيف . وتجد أمام بيوتهم جفاناً كالجوابي (الحجاري) ودسائع ضخمة (الصينية أم وكر) يعدّونها للولائم . وبعضهم لا يتورع عن نحر الذبائح حتى في وجبة الإفطار الصباحية ، ولم يمر يوم من الأيام لم أشاهد فيه مظهراً من مظاهر الكرم يثير الدهشة والعجب . فعلى سبيل المثال دعينا العام الماضي على الغذاء في أحد مضارب البادية عند الأمير مطلق بن هتاش بن رمال فنحر لنا الذبائح ، وبعد أن تناولنا الغذاء بدأنا نتجاذب أطراف الحديث وكان بين الجالسين بعض الشعراء والرواة الذين أمتعونا بسرد الحكايات ورواية القصائد فمرّ الوقت سريعاً ولم نشعر إلا وقد قاربت الشمس على المغيب ، فقام صاحب البيت على غير علم منا فنحر لنا مرة أخرى ، علماً بأننا أكّدنا له سلفاً بأننا لن نمكث للعشاء .

ومظاهر الكرم عند أهل الجبلين لا تنحصر في نحر الذبائح وتقديم الطعام ، فالشيء الذي يهز النفس ويمس الشعور هو طقوس الضيافة ومراسيم الاستقبال . فما أن يرى صاحب المنزل ضيفه قادما حتى يحث الخطى لاستقباله بوجه مشرق وأسارير متطلقة وابتسامة عريضة وتنهال من شفتيه كلمات الترحيب التي أعدت خصيصاً لهذه المناسبة ، ثم يجلس صاحب المنزل ضيفه في مجلس وثير بحيث يتكيء على يده اليسرى حتى تكون يده اليمنى حرّة لتناول القهوة والطعام ومصافحة القادمين . ويبادر المضيف بتقديم التمر والسمن إلى ضيفه . وأثناء ذلك يكون أحد أولاده قد حرث الوجار وأشعل النار (حيث لا مواقد كهربائية ولا غاز) مستعملاً المنفاخ لتأجيجها وقام يغلي الماء وحمس البن بالمحماسة وسحنه بالهاون بإيقاعات جميلة قلّ من يتقنها في هذا الوقت ، ويعتنون بعمل القهوة عناية فائقة ، فبالإضافة إلى الهيل يطعّمونها بقليل من الزعفران والقرنفل . وحتى طريقة سكب القهوة فن خاص لا يجيده إلا من تمرّس فيه .

وعنصر الكرم من أهم عناصر الحياة الاجتماعية في منطقة الجبلين وقد كيّفوا حياتهم على ذلك ، فنجد مثلاً أن القهوة دائماً جاهزة والنار لا تطفأ أبداً ، وقد سمعت أن هناك من الأخيار من لم تنطفىء ناره منذ مائتي سنة . وإذا ما حدث أن توقفنا لنسأل عن الطريق أو عن شخص ما ، فإن المسؤول حتى وإن كان طفلاً صغيراً أو امرأة يبادرنا بقوله : « تفضلوا ، اقلطوا ، القهوة زاهبة ، والله ما تسيرون إلا أنتم آخذينّ فنجال » .

وفي بعض القرى والهجر تجد أن مجالس الرجال (القهاوي) بدون أبواب ، وقد ذكر ذلك زيد الخوير من أهالي قفار في قصيدة له ، حيث يقول : إن ناره لا تخبو وبابه مفتوح (مبرهج) بحيث لا يضطر الزائر إلى طرقه بعقب سيفه ، حيث كانوا قديماً يحملون السيوف :

دْلال ما عنهن سنا النار طافي ... بوجار من لا دونهن بابهن جيف
مْبَرْهَجٍ تَسْفَى عليه السوافي ... من خلقته ما طِقّ في ركزة السيف

الأحد ١٦/١٠/١٤٠٤ هـ :

جاءني السائق والمرافق الساعة الثامنة صباحاً وذهبنا إلى مضارب قبيلة الخمسان قرب الجلف حوالي ثلاثين كيلومتراً شمال حائل . ووجدنا هناك سعود المزيد ولم نجد ابنه بايق ، واعتذرت لهم عن عدم مقدرتي على الالتزام بموعدي معهم بالأمس . وسجلت من سعود شريطاً كاملاً عن أنساب قبيلة الزميل وبعض القصص والقصائد التي تخص قبيلة الخمسان . وقبيل أذان الظهر ودّعناهم عائدين .

وحينما وصلنا حائل ودعت السائق والمرافق وذهبت إلى غرفتي فوجدت بايق كان قد جاء لزيارتي ولما لم يجدني ترك لي ورقة يستفسر فيها عن سبب تأخري عنهم بالأمس وذكر لي أنه كان دعا مشايخ الخمسان الذين حضروا من أماكن بعيدة لمقابلتي وذبح ثلاثاً من الضأن ، وهذا ما ذكره لنا أبوه في الصباح .

وبعد أن تناولت الغداء ذهبت بمفردي إلى الحفير بحثاً عن عبيد بن عردان الذي سبق أن قابلته عند حمود بن عمران وذكر لي أنه يعرف بعض القصص والقصائد وأن في حوزته عدداً من الأشرطة التي قد تصلح لي . وحينما وصلت الحفير كان مشل أحد أبناء الأمير درزي بن عردان قد أولم وليمة كبيرة فتغذيت معهم . وبعد الغداء أخذني

عبدالله بن عردان إلى بيت أخيه عبيد الذي لم يحضر الوليمة لأنه كان نائماً . وذهب معي إلى بيت عبيد وارد بن ركاد الزميلي الذي سجلت منه بعض الإفادات عن قبيلة الزميل وأنسابها . وبعد أن انتهينا من التسجيل كان عبيد قد استيقظ فتحدثت معه بعض الوقت واستمعنا إلى بعض الأشرطة . وبعد العصر قفلت راجعاً من الحفير إلى حائل بعد أن وعدت عبيد بأنني سوف أزوره بعد يومين أو ثلاثة ووعدني بأنه سوف يسجل لي بعض الأشرطة .

بعد صلاة المغرب ذهبت إلى بيت نايف المقوعي ووجدت عنده أباه معلث وحمود بن مفلح وتباحثنا عن أنساب بني رشيد وسجلت من معلث بعض القصائد التاريخية التي تخلد أفعال بني رشيد بالإضافة إلى بعض القصائد التي نظمها هو بنفسه . وبعد أن تناولنا العشاء عدت إلى الفندق .

الاثنين ١٧/١٠/١٤٠٤ هـ :

رن جرس الهاتف الساعة السادسة والنصف صباحاً وكان شيحان بن ربيعة يدعوني لمرافقته مع أناس آخرين لقضاء نزهة برّية وسط جبال أجا . وارتديت ملابسي وذهبت إلى بيته . وبعد شيء من التأخير استقللنا السيارات واتجهنا إلى المكان المحدد ، وكان الطريق وسط الجبال الصخرية غير معبد ومتعباً جداً ، لكن المناظر الخلّابة والهواء العليل وقصص شيحان أنستنا التعب . وبينما اتجه رفاقنا إلى المكان المحدد للنزهة اتجهت أنا وشيحان إلى مكان يقال له جرغ قرب قرية موقق لمقابلة أحد الرواة ويدعى فهيد بن فرج الغيثي الذي كان شيحان قد اتفق معه بالأمس على أننا سنزوره اليوم . وحينما وصلنا فهيد وجدناه في انتظارنا وقد علق الذبيحة وسلخها لغدائنا ، علماً بأن رفاقنا الذين تركناهم وراءنا قد ذبحوا أيضاً ذبيحة لغدائنا . وسجلت شريطاً كاملاً من فهيد لكنه ليس راوية جيداً ، ويبدو أنه كان مرتبكاً بعض الشيء وكان كثير النسيان . وهو يصم القصائد صمّاً لكنه لا يعرف مناسباتها ولا معاني كلماتها . وبعد أن تناولنا الغداء عنده قفلنا راجعين إلى رفاقنا ووجدناهم يطبخون الذبيحة ، ونمت قليلاً ، وفي الساعة الرابعة والنصف كان الغداء جاهزاً فتغديت أنا وشيحان معهم للمرة الثانية . وبعد ذلك عدنا إلى حائل وذهبت إلى الفندق واسترحت قليلاً . وفي المساء ذهبت إلى منزل نزال أبو صقر وسجلت منه بعض الإفادات عن قبيلة الغفيلة . وكان مشعان بن مسحل السويدي

موجوداً فسجلت منه شيئاً من القصص والقصائد . وعدت إلى الفندق بعد منتصف الليل .

الثلاثاء ١٨/١٠/١٤٠٤ هـ :

في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر جاءني السائق وذهبت لزيارة طلال بن عضبان بن رمال في هجرة القاعد ووجدته كعادته بشوشاً متهلل الأسارير . وتحدثنا في أمور عامة ، وكان قد صحبني في هذه الرحلة أحد سكان حائل ويدعى محمد بن عيسى الهذال (أبو نواف) وهو راوية غزير الحفظ لكنه رفض التعاون معنا ورغم محاولاتي العديدة معه فإنه رفض التسجيل . وبعد صلاة العصر بدأ الناس يتوافدون على مجلس طلال كما جرت العادة . وسجلت من طلال شريطاً كاملاً عن أنساب الغفيلة عموماً والرمال خصوصاً . وبعد صلاة المغرب تناولنا طعام العشاء وقفلنا راجعين إلى حائل .

وصلنا حائل الساعة العاشرة ليلا فاتصل بي حمود بن مفلح الرشيدي وطلب مني الحضور إلى منزله لمقابلة بعض أفراد قبيلته والتحدث إليهم . وذهبت ولم أعد إلا الساعة الواحدة ليلاً .

الأربعاء ١٩/١٠/١٤٠٤ هـ :

اتصل بي سعد بن دابس من الزبون في غرفتي من صالة الفندق الساعة التاسعة والنصف وكنت قد لقيته البارحة عند حمود بن مفلح واتفقنا أن يأتي إليَّ في الصباح للذهاب إلى أحد مشايخ بني رشيد في حائل لنأخذ منه بعض المعلومات عن أنساب عشيرته . ولم نجد الشخص المذكور في بيته لأننا تأخرنا عن موعدنا معه ، لكنني جلست أنا وسعد في بيت الرجل وسجلت من سعد بعض الإفادات عن فخذ الزبون من بني رشيد .

وعدت إلى الفندق الساعة الثانية عشر . وحالما دخلت غرفتي طرق الباب ولما فتحت قابلني شخص قال بأنه أحد أفراد فخذ الهبدان من القلادان من بني رشيد سمع بي وجاء من هجرته التي تبعد عن حائل مائتي كيلومتراً ليدلي ببعض الإفادات عن أنساب قبيلته . فرحبت به وأجلسته في الغرفة وسجلت منه ما لديه من معلومات . وقد أدهشني بقدرته العجيبة على حفظ الأسماء ومعرفة الأنساب .

في الساعة الثانية بعد الظهر ذهبت إلى بيت المرافق حود العبدالله الشمري الذي عمل وليمة كبيرة على شرفي ودعا إليها عدداً كبيراً من جماعته . وبعد العصر ذهبت مع المرافق والسائق وشيحان إلى الحفير لزيارة عبيد بن عردان . وجلسنا عند عبيد حتى الساعة العاشرة والنصف ليلاً ولم نجد عنده بغيتنا من القصص والقصائد . وهناك قابلنا عارف ولد الأمير درزي بن عرفان الذي وعد بأن يبعث لي بمخطوطة تحتوي على أشعار الرشيد . بعد ذلك سرينا إلى حمود بن عمران بالنفود ونمنا عنده .

الخميس ٢٠/١٠/١٤٠٤ هـ :

بعد أن أفطرنا عند حمود بن عمران ذهبنا إلى بيت مشعان بن مسحل الحمزي السويدي في مضارب قبيلة السويد في بطن حبران وكان قد نحر جزوراً وأعد وليمة كبيرة لأفراد عشيرته وكنا ضمن المدعوين . وحضر الوليمة ما لا يقل عن ١٥٠ شخصاً وكان عدد السيارات حوالي ٤٠ جيباً . ويتألف الغداء من ست صوانٍ كبيرة (أم وكر) . وبعد الغداء سجلت شريطاً من مشعان وشريطاً من محمد بن عبهول عن قصص الجربان ، وكان ابن عبهول راوية جيداً . واتفقت معه أنه حينما يأتي إلى الرياض سوف يتصل بي عن طريق مطلق العبيكة لأسجل منه المزيد من القصص والقصائد ، ولكي يعرفني على بعض أفراد قبيلة شمر من العراق وسورية الذين لهم عوائد عند آل سعود ويحضرون سنوياً لاستلامها ويقيمون في الرياض شهراً أو شهرين ويكون مجيئهم بعد عودة الوزارات من الطائف . وأمضينا يوماً ممتعاً عند مشعان وذهبنا من عنده الساعة العاشرة ليلاً ووصلنا حائل الساعة الواحدة ، حيث إن معظم الطريق كان وسط النفود وغير معبد .

الجمعة ٢١/١٠/١٤٠٤ هـ :

جاءني المرافق والسائق الساعة التاسعة وذهبنا إلى المعترضة التي تبعد عن حائل حوالي ١٠٠ كيلومتر . وحينما وصلنا توقفنا عند أحد البيوت لنسأل عن بيت دبيس بن علوي الذي كنا متوجهين إليه أساساً فلزّم علينا أصحاب البيت لتناول القهوة فنزلنا عندهم . ولحسن حظنا وجدنا عندهم خلف بن غالب الجنفاوي الذي كنا ننوي الذهاب إليه في بلده غمرة التي تقع وسط جبال سلمى والطريق إليها بعيد وغير معبد . وجلسنا نسجل من خلف وتغدينا عند أهل البيت وهم من الأسلم من جماعة خلف . وبعد صلاة العصر وذهبنا لزيارة دبيس وجلسنا عنده وتحدثنا لكننا لم

نسجل منه شيئاً ، حيث لم نجد عنده ما يستحق التسجيل . بعد ذلك عدنا إلى مضيفنا وتعشينا عنده واستكملنا التسجيل من خلف بن غالب . وبعد العشاء ودعناهم وذهبنا إلى الروضة لمقابلة الراوية عبدالعزيز بن سعود الجلعود . وقبل وصولنا إلى الروضة توقفنا على جانب الطريق ونمنا حتى الصباح .

السبت ٢٢/١٠/١٤٠٤ هـ :

حينما استيقظنا في الصباح ذهبنا إلى منزل عبدالعزيز بن سعود الجلعود في الروضة ووجدناه في انتظارنا وكنا قد قابلناه ليلة البارحة ، حيث دعاه مضيفنا إلى العشاء لمقابلتنا واتفقنا معه على موعد اليوم . بعد أن تناولنا الفطور وقهوة الصباح بدأنا التسجيل من ابن جلعود ، وبعد صلاة الظهر قدّم لنا غداء فاخراً . ثم اتجهنا إلى الجحفة في جبال سلمى لمقابلة عواد بن فرج بن خربوش ورافقنا ابن جلعود . وكان الطريق غير معبد ولم نصل إلى الجحفة إلا بعد صلاة العصر ، وكنا قد عرجنا في طريقنا على قرية دغنون ، حيث يسكن مزيد بن صلفيق الذي قال عنه المرافق حمود العبدالله إنه راوية جيد ، لكننا وجدناه قد تقدمت به السن ونسي ما عنده ، فلم نمكث عنده طويلاً .

حينما وصلنا قرية الجحفة توقفنا لنسأل عن عواد بن خربوش ، ولحسن الحظ كان البستان الذي توقفنا عنده بستان عبدالله أحد أبناء عواد ، فنزلنا عنده وأرسل أحد أبنائه للبحث عن أبيه . وقبل أن تسنح لنا الفرصة لنخبر عبدالله أننا ننوي العشاء في حائل كان قد ذبح الذبيحة . حينما جاء عواد شرحت له مهمتي واقترح أن نذهب إلى مكان هادىء وسط النخيل لنسجل هناك ، ولكن بعد أن استمعت إلى الشريط الذي سجلته منه اكتشفت أن زقزقة العصافير التي تتجمع وسط النخيل قبيل غروب الشمس تكاد تغطي على صوت عواد . ومعظم الشريط الذي سجلته من عواد يحتوي على قصائد أبيه فرج بن خربوش . ويتميز عواد بجودة الإلقاء والحفظ لكنه لا يرغب إلا في تسجيل القصائد التي يمتدح ناظموها عبدالعزيز بن سعود ، ويتحاشى المواضيع الأخرى .

بعد أن صلينا صلاة العشاء قدّم لنا عبدالله بن خربوش عشاءنا وغادرنا متجهين إلى حائل ووصلنا هناك الساعة الحادية عشرة والنصف .

الأحد ٢٣/١٠/١٤٠٤ هـ :

هذا هو آخر يوم لي في حائل . جاءني المرافق والسائق في الفندق الساعة التاسعة صباحاً لإنهاء حساباتهما معي وتسليم كل منهما إقراراً خطيّاً مني ليقدماه للإمارة يثبت أنهما عملا معي خلال هذه الفترة . وفي الساعة العاشرة ذهبت إلى الإمارة لأودعهم وأشكرهم على ما قدموه لي من تسهيلات . وفي الساعة الواحدة بعد الظهر غادرت حائل متجهاً إلى الرياض . وصلت الرياض الساعة العاشرة ليلاً .

three appendixces are included in this monograph. The first appendix is a complete catalogue of one of the tapes collected in a project called "Collecting Nabati Poetry From Its Oral Sources". The second appendix is a copy of the proposal I had submitted to the Research Center at the College of Arts at King Saud University to finance the aforementioned project. The third appendix is the field notes I took during a field trip to Hayil Region in the month of Shawwal 1404 A.H.

Saad A. Sowayan, Ph. D.
King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia

الملخص الانجليزي :

Collecting Oral Traditions

This monograph deals with the various procedures followed in the collection of oral literary material, with special emphasis on the collection of the oral poetry of Arabia, locally known as Nabati poetry.

Folklore research is no longer merely the collection of bare texts. More and more, field workers are beginning to pay close attention to the life histories of their informants and to the sociocultural milieu of their material. No modern folklorist can afford to ignore the social setting and performance context in which his informants operate and from which they draw their lore. The introduction of mechanical aids such as the tape recorder and the camera in the field has revolutionized field-work methods. Learning how to operate and maintain this equipment has become a necessary part of the training of field workers in folklore.

Other issues addressed in this paper are making advance preparations before going into the field, the finding of informants, establishing and maintaining rapport with them, conducting interviews, and constructing methods of processing and archiving the collected material. The final part of this work examines fieldwork methods employed by the ancient Arab philologists to show that fieldwork is not a European invention of the twentieth century.

To give the reader an idea of how to process the collected material, how to apply for funds, and how to write field notes

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
[٣٠٨] لسنة ١٩٨٥ م

مطابع قطر الوطنية
تليفون : ٤٤٨٤٥٤ ـ ص . ب : ٣٥٥ الدوحة ـ قطر